

شرح

حمائمه - ابن ابي قلاب

فضيلة الشيخ

أ. د. عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين بن البخاري

حفظه الله



miraath.net

ميراث النبوة

Miraath.Net

قام بها فريق التفريغ بموقع ميراث الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر موقع ميراث الأنبياء أن يُقدم لكم
تسجيلاً لدرسٍ في شرح:

حائبة ابن أبي داود - رحمه الله تعالى -

ألقاه

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور:

عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

- حفظه الله تعالى -

بداية من يوم السبت السابع والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٤٤١ هجريا

إلى يوم الخميس الثاني من شهر ذي الحجة، بجامع الخندق بالمدينة النبوية.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به الجميع.

الدرسُ الثاني
ميراث الأنبياء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقال الإمام الحافظ أبو بكرٍ عبدُ الله بن الإمام الحافظ أبي داود بن سليمان الأشعث السجستاني رحمه الله تعالى، وغفر الله له، ولشيخنا ولوالدينا، والحاضرين والمسلمين.

المتن:

قال-رحمه الله- : بسم الله الرحمن الرحيم

تَمَسَّكَ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبَعَ الْهَدْيَ وَلَا تَكُ بَرْعِيًّا لَعَلَّكَ تَفْلِحَ
وَوَنِّ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْجُو

الشرح:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

نقول تعليقاً على هذين البيتين في مقدمة هذه القصيدة أو هذا النظم:

الوجه الأول: ❁

ميراث النبيا

بدأ الناظم - رحمه الله - بهذين البيتين لبيان أصل عظيم وهو: وجوب الاعتصام
والتمسك بالكتاب والسنة ليستقيم لك الاعتقاد.

وتضمن أيضاً وخاصةً الشطر الثاني من البيت الأول: التحذير من البدع والأهواء،
وبضرورة التمسك بالسنة الواردة عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ فيها الهدى
والرشاد.

❁ الوجه الثاني:

أن المتأمل في نصوص الوحيين يجد أن أدلة الشرع دلّت على ضرورة التمسك بالكتاب
والسنة؛ وأن يكون ذلك على فهم سلف الأمة الصالح - رضوان الله تعالى عليهم - أجمعين.

قال الله - جل وعلا -: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ آل عمران: ١٠٣؛ الآية.

قال الإمام ابن جرير - رحمه الله - في التفسير: "يريد بذلك - تعالى ذكره - وتمسكوا بدين الله
الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم
لأمر الله".

وقال العلامة القرطبي - رحمه الله - في التفسير: "أمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب
والسنة اعتقاداً وعملاً؛ وذلك سبب اتفاق الكلمة وانتظام الشتات، لا يمكن أن تجتمع الكلمة إلا
على الحق، فمن رام أن يجمع الناس على غير كلمة الحق فلن يجتمعوا".

ومن الأدلة؛ والأدلة كثيرة كما سبق في **بیرات النبیا**

قول الله - جل وعلا-: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ الروم: ٣٠ - ٣٣ .

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في التفسير: "أهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراءٍ ومللٍ باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحلٍ كلها ضلالةٌ إلا واحدة وهم: أهل السنة والجماعة؛ المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين من قديم الدهر وحديثه؛ كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل-عليه الصلاة والسلام- عن الفرقة الناجية من هم؟ «قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» انتهى كلام الحافظ ابن كثير - رحمه الله -.

هذا الحديث - حديث الحاكم - قال عنه الحافظ ابن حجر - رحمه الله - في تخرجه الكشاف، قال: «إسناده حسن».

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

زاد الإمام أحمد - رحمه الله - في المسند: «وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَّلَاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الحافظ النووي - رحمه الله - في شرح مسلم: "أما الاعتصام بحبل الله فهو: التمسك بعهده؛ وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده، والتأدب بأدابه، والحبل يُطلق على العهد، وعلى الأمان وعلى الوصلة، وعلى السبب، وأصله من استعمال العرب؛ الحبل في مثل هذه الأمور لاستمساكهم بالحبل عند شدائد الأمور، ويوصلون بها المتفرّق، فاستعير اسم الحبل لهذه الأمور، وأما قوله - عليه الصلاة والسلام -: «وَلَا تَفَرَّقُوا» فهذا أمرٌ بلزوم جماعة المسلمين، وتألّف بعضهم ببعض؛ وهذه إحدى قواعد الإسلام" انتهى كلامه - رحمه الله -.

قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فقد جمع في هذه الأحاديث - عليه الصلاة والسلام - بين الخصال الثلاث: إخلاص العمل لله - تعالى -، ومناصحة أولي الأمر، ولزوم جماعة المسلمين؛ وهذه الثلاث تجمع أصول الدين وقواعده، وتجمع الحقوق التي لله ولعباده، وتنتظم مصالح الدنيا والآخرة".

❁ الوجه الثالث:

وهو تنبيهٌ في الحقيقة يتعلق بحقيقة الاعتصام الذي مضى: الاجتماع في أمر الدين وعلى أمر الدين لا يكون على حساب الدين، فالله - جل في علاه - لم يُطلق الأمر لنا بالاجتماع كيفما اتفق، بل أمرنا بالاعتصام بحبله، والاجتماع على الحق؛ كما أمرنا بذلك النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم -، فتحقيق هذا الاجتماع وانتظام الشتات إنما يكون: بتجريد الاتباع لسيد الخلق وإمامهم - صلى الله عليه وسلم -، والتزام طريقة أصحابه من بعده - رضوان الله تعالى عليهم أجمعين - وسلف الأمة الصالح؛ لأن هذا هو الصراط المستقيم.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في المدارج:

"الاعتصام به نوعان:

اعتصامٌ توكُّلٌ واستعانةٌ وتفويضٌ، ولجأٌ وعايذٌ، وإسلامُ النفسِ إليه، والاستسلام له - سبحانه-.

والثاني: اعتصامٌ بوحيه وهو: تحكيمة دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم وأذواقهم، وكشوفاتهم ومواجدهم، فمن لم يكن كذلك فهو مُنسلٌ من هذا الاعتصام، فالدين كله في الاعتصام به وبحبله علمًا وعملاً، وإخلاصًا واستعانةً، ومتابعةً واستمرارًا على ذلك إلى يوم القيامة".

قال الإمام ابن قدامة - رحمه الله - كما في ذم التأويل: "لأنه -عليه الصلاة والسلام- على الصراط المستقيم، فسالكٌ سبيله سالكٌ صراط الله المستقيم، فيجب علينا اتباعه، والوقوف حيث وقف، والسكوت عما عنه سكت" انتهى كلامه - رحمه الله -.

ولهذا -بارك الله فيكم- من لوازم هذه الاستقامة وهذا الاعتصام: الحذر كل الحذر من مشاقة سبيل المؤمنين؛ لأن هذه المشاقة منافية لهذا الاعتصام؛ قال الله -جل في علاه-: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ النساء: ١١٥.

قال الإمام ابن قدامة - رحمه الله - في ذم التأويل: "فمن أحب الكون مع السلف في الآخرة، وأن يكون موعودًا بما وعدوا به من الجنات والرضوان فليتبعهم بإحسان، ومن يتبع غير سبيلهم دخل في عموم قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾" فذكر الآية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مختصر الفتاوى المصرية: "من ظنَّ أنه يعرف الأحكام من الكتاب والسنة بدون معرفتها بما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم فهو غالطٌ مخطئٌ، فإن كان لابد من معرفة الاجتماع والاختلاف فلا بد من معرفة ما يستدلُّ به المخالف وما استخرجه من أدلة الكتاب والسنة؛ وهذا ونحوه لا يُعرف إلا بمعرفة أقوال أهل الاجتهاد وأعلى هؤلاء الصحابة -رضوان الله عليهم-، فمن ظن أنه يأخذ من الكتاب والسنة بدون أن يقتدي بالصحابة ويتبع غير سبيلهم فهو من أهل البدع والضلال".

وقال -رحمه الله- أيضًا كما في المجموع لابن قاسم: "معلومٌ باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول -عليه الصلاة والسلام- في كل ما شجر بين الناس؛ في أمر دينهم ودنياهم، في أصول دينهم وفروعه، وعليمهم كلهم إذا حكم بشيءٍ ألا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما حكم ويُسلموا تسليمًا"، وذكر آياتٍ عدة في ذلك؛ ومنها قول الله -جل وعلا-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝٦١﴾ النساء: ٦١، ثم قال: "والدعاء إلى ما أنزل الله يستلزم الدعاء إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-، والدعاء إلى الرسول يستلزم الدعاء إلى ما أنزله الله؛ وهذا مثل طاعة الله والرسول -عليه الصلاة والسلام- فإنهما متلازمان" فمن يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن أطاع الله فقد أطاع الرسول، وكذلك في قوله -تعالى-: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ إلى آخر الآية، قال: "فإنهما متلازمان، فكل من شاقَّ الرسول من بعد ما تبين له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وكل من اتبع غير سبيل المؤمنين فقد شاقَّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- من بعد ما تبين له الهدى، فإن كان يظن أنه متبعٌ لسبيل المؤمنين وهو مُخطئٌ؛ فهو بمنزلة من ظن أنه متبعٌ للرسول -عليه الصلاة والسلام- وهو مخطئٌ؛" انتهى كلامه -رحمه الله-.

• الوجه الرابع:

كما قلت تضمّن أيضًا التحذير في هذين البيتين: التحذير من البدع وأهلها، والنصوص في التحذير من أهل البدع كثيرة؛ كما أبنّا عن ذلك في كتابنا: تأملات في مسألة الهجر في ضوء الكتاب والسنة ومقالات سلف الأمة،

من ذلك قول الله - تعالى -: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ هود: ١١٣، قال

القرطبي - رحمه الله - في الجامع: "إنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيره، فإنّ صحبتهم إما كفر أو معصية، إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة".

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث عائشة أن النبي - عليه الصلاة والسلام - تلا

قول الله - تعالى -: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ

مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران: ٧، إلى آخر الآية، قالت عائشة - رضي الله عنها -: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ

عليه وسلّم - بعد أن تلا هذه الآية: «فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ؛ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

قال النووي - رحمه الله -: "في هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع

ومن يتبع المشكلات للفتنة، ولا يخفى عليكم حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن عزوة تبوك - رضي

الله تعالى عنهم - كعب بن مالك ومن معه من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والحديث

في الصحيحين، وفيه قول كعب: «وَنَهَى رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِنَا

أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنِبْنَا النَّاسَ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنْكَرَتْ فِي نَفْسِي الْأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً»، والقصة طويلة في ذلك.

قال الإمام الطبري - رحمه الله -: "قصة كعب بن مالك أصل في هجران أهل المعاصي".

وقد بوب الإمام البخاري لهذا الحديث في كتاب الأدب: "باب ما يجوز من الهجران لمن عصي" وعلق فيه طرفاً من حديث كعب.

قال الإمام البغوي - رحمه الله -: "فيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأييد، وكلام أهل العلم في ذم البدع والتحذير من أهلها كثير".

لماذا هذا كله؟

لأن البدع - بارك الله فيكم - سببٌ رئيس لنقض أصل الاعتصام بالوحيين؛ وهي مُنابذة لحقيقة الاعتصام: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: "الظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مُخالفًا له" إلى أن قال: "وهذه الآية كقوله - تعالى -: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، قال: "وفي الحديث: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَادُ عَلَاتٍ دِينَنَا وَاحِدٌ» فهذا هو الصراط المستقيم، وهو ما جاءت به الرسل من عبادة الله وحده لا شريك له، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر، وما خالف

ذلك فضلاواتً وجاهلاتً، وآراءً وأهواءً، الرسل بُراءً منها؛ كما قال الله -تعالى-: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ .

• الوجه الخامس:

في قول الناظم: "وَاتَّبِعِ الْهُدَى"

الهُدَى بالضم وفتح الدال هو الذي جاء به الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ وهو الصراط المستقيم، لكن هنا سأتكلم عن الهداية، وثمة كلامٌ نفيس وبديع للإمام ابن القيم -رحمه الله- في أنواع الهداية ذكره في كتابه بدائع الفوائد في قول الله -تعالى-: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦؛ ذكر حول هذه الآية؛ قال: "فيها عشرون مسألة"، جاء إلى المسألة السابعة عشرة فقال: "وهي أن الهداية هنا" في قوله: ﴿أَهْدِنَا﴾، "أن الهداية هنا من أي أنواع الهدايات؟" يعني: أي الهدايات تطلب أنت؟

قال: "فاعلم أن أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المُشتركة بين الخلق؛ المذكورة في قول الله -تعالى-: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ

شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠؛ أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال، وهذه الهداية تعم هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وكذلك هداية الجماد المُسَخَّر لما خلق له فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به

سيرات النبيا

وإن اختلفت أنواعها وصورها، وكذلك لكل عضو هداية تليق به، فهدي الرجلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خلق له، وهدي الزوجين من كل حيوان إلى الأزواج والتناسل وتربية الولد، وهدي الولد إلى التقام الثدي عند وضعه وطلبه؛ "من الذي هداه لهذا وهو في أول نزوله؟" ومراتب هدايته - سبحانه وتعالى- لا يحصيها إلا هو فتبارك الله رب العالمين، وهدي النحل التي تتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومن الأبنية، ثم تسلك سبل ربها مذللة لا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوها واتباعه والانتماء به أين توجه بها"، إلى أن قال: "ومن تأمل بعض هدايته - سبحانه وتعالى- المبتوثة في العالم شهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

النوع الثاني من الهداية: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك؛ هذه الهداية تستلزم الهدى التام؛ فإنها سببٌ وشرطٌ لا موجب، ولهذا ينتفي الهدى معها كقوله -تعالى-: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ^{فصلت: ١٧؛} أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ ^{الشورى:} ^{٥٢} هذه دلالة البيان والتعريف.

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام؛ وهذه قال: "مستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله -تعالى-: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ^{النحل: ٩٣؛} وفي قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ»، وفي قوله -تعالى-: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ^{القصص: ٥٦؛} فنفي عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان"،

إلى أن قال: النوع الرابع: غاية الهداية؛ هذا النوع الرابع: "غاية هذه الهداية، وهي

الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلها إليهما، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾﴾ بونس: ٩، وقال أهل الجنة فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ الأعراف: ٤٣، وقال عن أهل النار: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ الصافات: ٢٢- ٢٣،

قال: "إذا عُرف هذا، فالهداية المسؤولة في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ الفاتحة: ٦؛

إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة" من الأنواع الأربعة، "الثانية والثالثة خاصة؛ فهي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام"، فأنت تطلب من الله أن يهديك إلى هاتين الهدايتين، انتهى كلامه -رحمه الله-.

ويلحق بهذا أمر في غاية الأهمية:

عَرَفْتَ الْحَقَّ؛ صحيح؟ فتطلب من الله -جل وعلا- بعد أن عرفته أن يعينك على القيام

به؛ أليس كذلك؟ لكن هل قيامك بهذا دليلٌ على هدايتك فيه؟

اسمع إلى كلام الإمام ابن القيم أيضاً في رسالته إلى بعض إخوانه؛ وذكر طرفاً من ذلك في

(البدائع) أيضاً، قال: "العبد مفتقرٌ إلى الهداية في كل لحظة ونفس، في جميع ما يأتيه ويندره، فإنه

-هذا العبد- بين أمورٍ لا ينفك عنها" لا يمكنك أن تنفك عنها، ما هي؟ قال: "أحدها: أمورٌ قد

أتاها على غير وجه هداية" يعني: فعلها على غير وجه الهداية؛ جهلاً، "فهو محتاج إلى أن يطلب

سيرات النبيا

الهداية إلى الحق فيها" إلى أن يهديه الله إلى الحق فيها، "أو يكون عارفاً بالهداية فيما فأتاها على غير وجهها"؛ أنت تعلم أنه لا يجوز لك أن تقتفي ما ليس لك به علم ثم اقتفيت، فأنت أتيت الأمر على غير وجه هدايته عن عمد، "أو يكون عارفاً بالهداية فيما فأتاها على غير وجهها عمداً، فهو محتاجٌ إلى التوبة منها -إلى أن يهديه الله إلى التوبة منها-، أو أمور لم يعرف وجه الهداية فيها علمًا ولا عملاً، ففاتته الهداية إلى علمها ومعرفتها وإلى قصدها وإرادتها وعملها، أو أمور قد هُديَ إليها من وجهٍ دون وجه فهو محتاجٌ إلى تمام الهداية فيها، أو أمور قد هُديَ إلى أصلها -إجمالاً يعني- دون تفاصيلها، فهو محتاجٌ إلى هداية التفصيل، أو طريقٌ قد هُديَ إليها فهو محتاجٌ إلى هداية أخرى فيها؛ -شوف هذا الكلام- فالهدايةُ إلى الطريق شيء، والهداية في نفس الطريق شيء"، أنت تعلم بأنه يجب أن تلتزم اعتقاد أهل السنة والجماعة وطريقة السلف، أليس كذلك؟ علمت؛ فأنت هُديت إلى الطريق، تحتاج إلى هداية في نفس الطريق، قال: "والهداية في نفس الطريق شيءٌ آخر، ألا ترى أن الرجل يعرفُ طريقَ البلد الفلاني؛ هو طريق كذا وكذا، ولكن لا يُحسن أن يسلكه" أنت تعلم أن الشام في جهة الشمال، أو أن اليمن في جهة الجنوب، أو العكس جنوب المدينة يكون إلى جهة اليمن، وشأها إلى الشام مثلاً وكذا وكذا، لكن الطريق إلى الذهاب تعرف؟! كونك تعلم الجهة لا يعني أنك تعرف الطريق، "ولا يحسن أن يسلكه، فإن سلوكه يحتاج إلى هداية خاصة في نفس السلوك؛ كالسير في وقت كذا دون وقت كذا، وأخذ الماء من مفازة كذا بمقدار كذا، والنزول في موضع كذا دون موضع كذا، فهذه هداية في نفس السير، قد يهملها من هو عارفٌ بأن الطريق هي هذه؛ فهلك وينقطع عن المقصود، وكذلك أيضاً ثم أمور محتاجٌ إلى أن تحصل له الهداية فيها في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي، وأمورٌ هو خالٍ عن اعتقاد الحق فيها أو باطلٍ فيها مُحتاجٌ إلى هداية الصواب فيها، وأمورٌ يعتقد أنه على هدى وهو على ضلالةٍ ولا يشعر، فهو مُحتاجٌ إلى انتقاله عن ذلك الاعتقاد بهداية من الله، وأمورٌ قد فعلها على وجه الهداية

وهو مُحتاجٌ إلى أن يهدي غيره إليها ويُرشده وأن ينصحه، فإهماله ذلك يُفوت عليه من الهداية بحسبه، كما أن هدايته للغير وتعليمه ونصحه يفتح له باب هداية؛ فإن الجزاء من جنس العمل، فكلما هدى غيره وعلمه هداه الله وعلمه، فيصيرُ هاديًا مهديًا" إلى آخر كلامه - رحمه الله -، فهذا أمرٌ دقيق في باب الهداية يجب أن تعلمه.



سيرة النبي

المتن:

قال -رحمه الله تعالى-:

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا *** بِذَلِكَ دَانَ الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا
وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا *** كَمَا قَالَ أَتْبَاعُ جِهَمٍ وَأَسْجَحُوا
وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلَقَ قَرَأْتُهُ *** فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

الشرح:

هذه الأبيات الثلاثة متعلقة بصفة الكلام لله -عز وجل-.

يقول -رحمه الله-، والكلام عليها شرًا من وجوه:

⌘ الوجه الأول:

قوله: "وَقُلْ"

أي: أيها السنيّ الذي تمسك بحبل الله وسُنن رسوله -عليه الصلاة والسلام- كما مضى،
"وَقُلْ" في القرآن الكريم وفي كلام الله -جل وعلا-: "غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا" أي: قل ذلك
معتقدًا له؛ لأنه: "بِذَلِكَ دَانَ" أي: اعتقد وأطاع وآمن "الْأَتَقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا" الأتقياء: جمع تقي؛
وهو من قام بما أوجب الله -جل وعلا- عليه أمرًا ونهيًا، فهم اعتقدوا ذلك وأدانوا به وأفصحوا
عنه؛ أي: صرحوا به؛ بمعنى: لم يكتفوا بالاعتقاد به؛ بل صَحِبَ ذلك منهم: بيانٌ وإظهارٌ،
ودعوةٌ إلى الحقِ وردُّ على الباطلِ وأهلِهِ، لماذا فعلوا هذا؟

لشدة الحاجة ومسييس الحاجة إلى ذلك؛ بسبب ما وقع من فتنة القول بخلق القرآن.

ميراث النبيا

"وَلَا" ناهية؛ لا ناهية؛ ينهك أيها السنِّي، "وَلَا تَكُ" مجزومة بحذف النون تخفيفاً، "وَلَا تَكُ فِي

الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا" بعد أن قرر الحق لك، وأبان ما يجب عليك من اعتقاد، ردَّ على أهل

الباطل من المبتدعة في هذا الباب وهم: الواقفة؛ وهم فرقة من الجهمية أتباع الجهم بن صفوان؛

فرقة من فرق الجهمية كما قال الإمام أحمد كما سيرد عنه.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: "سئل -يريد أباه- عن الواقفة، فقال أبي: من كان يُخاصمُ

يُعرف بالكلام فهو جهمي -أي: منهم-، ومن لم يُعرف بالكلام يُجانب حتى يرجع، ومن لم يكن له

علمٌ يسأل"، قال عبد الله: "وسمعت أبي مرة أخرى وسئل عن اللفظية والواقفة، قال: من كان

منهم يُحسن الكلام فهو جهمي، وقال مرة أخرى: هم شرُّ من الجهمية".

إذا الواقفة هم فرقة من الجهمية، سبب ذلك: خفاء أمرهم، وما أثاروه من الشُّبه بدعوى

الوقف، وهم في الحقيقة مُشككة تأثروا بالجهمية؛ لذا وصفهم الناظم هنا بأنهم أتباع جهم، فردَّ

عليهم أئمة السُّنة وحذروا منهم كما سيأتي مزيد بيان إن شاء الله.

الجهم: هو بن صفوان رأس الضلالة والغواية، نُسبت إليه مقالة الجهمية مع أنه أخذها

من الجعد بن درهم؛ لأنه تبناها ودافع عنها فنُسبت إليه،

قال شيخ الإسلام كما في الفتوى الحموية: "أصل هذه المقالة: مقالة تعطيل الصفات إنما

هو مأخوذٌ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه

المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم؛ أخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنُسبت مقالة

الجهمية إليه، وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن

أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر النبي -صلى الله

عليه وسلم-" انتهى كلامه -رحمه الله-، هذه هي سلسلة الضلالة والكفر.

قوله: "وَأَسْجَحُوا"

من السَّجْحِ وهو: السهولة واللين، يُقال: خلُقَ سَجِيحٌ؛ أي: لين سهل، وكذا يقال في المشية: مَشَى فلانٌ مَشِيًّا سُجْحًا وسَجِيحًا، ويقال: مِشِيَّةٌ سُجْحٌ؛ أي: سهلة، والمعنى: أنهم سَهَّلُوا وألنوا قلوبهم لهذا المُعتقد الباطل؛ فقالوا به مع بُطلانه ومُصادمته للحق والهدى.

قال: "وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ"

هكذا جاءت في أكثر نسخ النظم من الشريعة، واللطيف لأبي حفص بن شاهين، والسير، والعلو، وفي نسخة ممسوخة مطبوعة عن دار طيبة بدل هذا قال: "وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قُرَأْنُهُ" هكذا: "قُرَأْنُهُ"؛ فقل هذه النسخة ممسوخة لا تنظر إليها؛

وفي نسخة السفاريني - رحمه الله - في لوائح الأنوار قال: "وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَاءَةٌ"؛ ولعل هذه أقرب، والله أعلم، ونصبها أو النصب في وضعه على الحال أو في ... الخافض؛ والمعنى: "لَا تَقُلِ" قراءتي للقرآن مخلوقة؛ "لَا" ناهية، و"تَقُلِ": فعلٌ مجزوم، وحُرِّكَتِ اللام بالكسر للالتقاء الساكنين، "الْقُرْآنُ": مبتدأ، و"خَلْقٌ": خبره؛ بمعنى: مخلوق؛ وهذا البيت فيه تأصيلٌ وردٌّ؛ ردٌّ على فرقة ضالة يقال لها اللفظية، أولئك الواقفة وهنا اللفظية؛ وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق أو تلاوتي للقرآن مخلوقة؛ منشأ ضلال اللفظية أيضًا هو من اتباع الجهمية نفسها، شُبِّهَتْهُمْ هي هي؛ الشُّبْهَةُ عندهم هي الشبهة عند الجهمية أيضًا،

جملة: لفظي أو قراءتي للقرآن أو لفظي بالقرآن تحتل أنه يريد -يعني: القائل- تحتل هذه اللفظة أنه يريد الملفوظ أو المقروء؛ وهو القرآن، ولا شك أن القرآن في اعتقاد أهل السنة

غير مخلوق، وتحتمل أنه يريد حركة اللسان والشفه والصوت الذي يخرج من القارئ أو من فم المرء؛ فهذه: اللسان والشفه وصوت المرء لا شك أنها مخلوقة؛ فاللفظة مُحتملة للمعنيين، والإجمال في موطن التفصيل سببٌ للضلالة؛ سببٌ عظيم من أسباب الضلال، وأكثر ما وقع فيه أهل الضلال بسبب استخدام الألفاظ المجملة ليُوهم بذلك حقًا وباطلًا؛ لذلك قال الإمام أحمد فيهم؛ في اللفظية-، قال فيهم: جهمية.

قال الناظم: "فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ - أي القرآن الذي تتلوه - بِاللَّفْظِ يُوضِّحُ"

أي: يُكشِفُ وَيُظهِرُ وَيَبِينُ، فكلام الله - جل وعلا - ليس لفظًا بلا معنى، ولا معنى دون لفظ، واللفظ به يُوضِّحُ المعنى، ويُبيِّنُ المراد المقصود، وسيرد مزيد بيان - بإذن الله - في أمر اللفظية فيما يتعلق بهذه الفرقة اللفظية.

نقف عند هذا الوجه.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلّم.



وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

www.miraath.net



ميراث الأنبياء

وجزاكم الله خيرا.

ميراث الأنبياء